

تعليم قيم الرجولة لذوي اضطراب طيف التوحد والإعاقات الفكرية:

خطوات صغيرة نحو الاستقلال وبناء الشخصية

إعداد

الدكتورة أروى أخضر

مقدمة:

ليست الرجولة كلمات تُقال، ولا مواقف عابرة تُحكى، بل هي سلوك يُغرس، وقيم تُبنى، ومهارات تُعلّم يوماً بعد يوم. وعندما نتحدث عن تعليم مهارات الرجولة لذوي التوحد والإعاقات الفكرية فإننا لا نتحدث فقط عن إكسابهم عادات يومية، بل عن فتح أبواب الحياة أمامهم؛ لنمنحهم فرصة حقيقية ليكونوا أكثر استقلالاً، وأكثر قدرة على فهم ذاتهم ومكانهم في هذا العالم.

إن هذه الفئة تحديداً من بين فئات الإعاقات الأخرى قد تواجه تحديات مختلفة، لكنها في الوقت ذاته تحمل إمكانات كبيرة تحتاج فقط إلى من يؤمن بها، ويصبر عليها، ويمنحها الأدوات المناسبة للنمو. فتعليمهم كيف يحيون الآخرين، ويحترمون الكبير، ويتحملون المسؤولية، ويعتمدون على أنفسهم في تفاصيل حياتهم، هو في جوهره بناء لإنسان يشعر بقيمته وكرامته. هي ليست مهارات عابرة، بل رسائل عميقة نقول لهم من خلالها: أنتم قادرون، وأن لكم مكاناً تستحقونه بكل جدارة. ومن هنا تبدأ الرحلة... رحلة صغيرة في ظاهرها، عظيمة في أثرها، نحو إنسان أكثر استقلالاً، وأكثر ثقة، وأكثر حياة.

وفي عالم يتزايد فيه الوعي بأهمية الدمج والتأهيل الشامل، تبرز الحاجة إلى تصميم برامج تعليمية وتربوية متخصصة تستهدف الأفراد من ذوي اضطراب طيف التوحد والإعاقات الفكرية، ومن بين الجوانب المهمة التي قلّما يتم التركيز عليها: تعليمهم "قيم الرجولة" وفن التعامل مع الرجال، باعتبارها منظومة من القيم والسلوكيات التي تساعد على فهم المواقف الاجتماعية اليومية، والتفاعل الإيجابي الواعي مع المجتمع. فلم يعد التعليم مقتصرًا على الجوانب الأكاديمية فقط، بل أصبح يشمل بناء الشخصية وتنمية المهارات الاجتماعية والقيم السلوكية.

ولا يُقصد بالرجولة هنا المفهوم النمطي التقليدي الضيق المرتبط بالقوة أو السيطرة، بل منظومة من القيم مثل: الاحترام، المسؤولية، الأدب، ضبط النفس، التقدير الاجتماعي الشهامة المروءة، السند، الشجاعة الأخلاقية، القدرة على اتخاذ القرار، هذه القيم تشكل أساساً مهمًا لبناء شخصية متزنة، سواء للذكور أو للإناث، وهي مهارات يمكن تعليمها واكتسابها من خلال

التدريب والممارسة والتكرار، خاصة لدى الأفراد الذين يواجهون مشكلات وتحديات في التعلم الاجتماعي التلقائي وفي فهم العلاقات الاجتماعية.

وكما هو معروف، يواجه العديد من الأفراد ذوي اضطراب طيف التوحد والإعاقات الفكرية صعوبات في فهم الإشارات الاجتماعية، وتمييز النيات، والتصرف في المواقف المختلفة. لذلك فإن تعليمهم مهارات التعامل مع الرجال (كالأب، المعلم، الطبيب، أو أي رجل في المجتمع) يساهم في: تعزيز الأمان الشخصي والقدرة على التمييز بين السلوك المقبول وغير المقبول، تنمية مهارات التواصل الفعال والاحترام المتبادل، تقليل احتمالات التعرض للاستغلال أو سوء الفهم بناء الثقة بالنفس القائم على الوعي المجتمعي الحقيقي.

وتتضاعف أهمية برامج تعليم "قيم الرجولة" والأنشطة التطبيقية المرتبطة بها لدى فئة من الأبناء الذكور الذين يفتقرون إلى وجود الرجل (نموذج ذكوري) بشكل مباشر في حياتهم اليومية في أسرهم الصغيرة؛ كالأب أو الأخ الأكبر، أو ممن لا تتاح لهم فرص كافية للاحتكاك بالمجالس الاجتماعية التي تُنقل من خلالها هذه القيم بشكل غير مباشر. ففي مثل هذه الحالات لا تتشكل المهارات الاجتماعية المرتبطة بالتعامل مع الرجال وقيم الرجولة بصورة تلقائية؛ بل قد يحدث نقص أو اضطراب في فهم الأدوار والسلوكيات المناسبة في المواقف المختلفة.

ويتضح مما سبق أن هناك حاجة ملحة لتقديم برامج تربوية مدروسة وشاملة، بحيث تُحاكي هذه الخبرات الواقعية، وتُعوض غياب النماذج الحية من خلال النمذجة، والتمثيل والتدريب العملي بتدريب منظم وتطبيق مستمر إذ تساهم هذه البرامج التأهيلية (تعليم "قيم الرجولة") في بناء فهم واضح للسلوكيات المقبولة اجتماعياً، وتعزز الثقة بالنفس ومن قيم التفاهم والتعاضد بما يدعم قدرة الفرد على الاندماج الآمن والوعي في محيطه الاجتماعي.

وبما أن الرجولة سلوك يُتعلّم، فإن الأفراد من ذوي التوحد والإعاقات الفكرية بحاجة إلى تحويل المفاهيم المجردة إلى مواقف عملية ملموسة، حيث يسهل عليهم التعلم من خلال التكرار والتجربة المباشرة. لتعزيز الفهم وتثبيت السلوك.

ولكي تكون هذه البرامج ذات أثر ملموس، ينبغي أن تتضمن:

١. التعليم بالنمذجة: عرض مواقف واقعية أو تمثيلية توضح كيفية التعامل مع الرجال في

سياقات مختلفة (توضيح السلوك، مع التكرار والتعزيز).

٢. التدريب على المهارات الاجتماعية: مثل التحية، طلب المساعدة، وضع الحدود الشخصية.

٣. التوعية بالحقوق والخصوصية: تعليم الفرد أن له حدوداً يجب احترامها، وأن من حقه رفض أي تصرف غير مريح.

٤. القصص الاجتماعية المصورة: وسيلة فعّالة لتبسيط المفاهيم المجردة.

٥. مشاركة الأسرة: لضمان استمرارية التعلم وتطبيقه في الحياة اليومية.

ومن أبرز الأمثلة التطبيقية لأنشطة برنامج "قيم الرجولة" التي يمكن تضمينها داخل البرنامج التعليمي بشكل تدريجي وبأسلوب مبسط: (نشاط آداب الدخول على المجلس، إلقاء التحية والبدء بالسلام، احترام كبار السن في المجلس، صب القهوة بطريقة لائقة، القيام عند دخول كبير السن وإفراح المجلس، الجلوس في المجلس بطريقة لائقة).

ختاماً، إن تعليم "قيم الرجولة" وفن التعامل مع الرجال ليس ترفاً تربوياً، أو جانب تكميلي في التربية، بل هو ضرورة إنسانية وتربوية، تُمكنهم من اكتساب المهارات الحياتية الأصيلة.